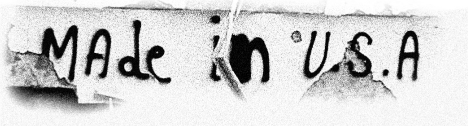

البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

سماح إدريس

إنّه اجتياحٌ جديدٌ، قلتُ في نفسي.

ما إنْ بدأ «الردُّ» الإسرائيلي على عملية حزب الله في ١٢ تموز حتى تداعت في رأسي صورُ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عامَ ١٩٨٢. كنتُ في بيروت آنذاك، وكان عمري واحدًا وعشرين عامًا. قضيتُ وقتَها شهرًا في بيروت أثناء الحصار، ثم رَحّلني أهلي إلى فرنسا، ومشاعرُ النّدمِ والذّنْبِ والقلقِ تأكلني.

لا سفرَ بعد اليوم، قلتُ.

كان أولَ ما فعلتُه هو كتابةُ افتتاحية طويلةٍ في الأسبوع الأول من الغزو، وزّعتُها على الإنترنت لأنّ توزيع الآداب إلى الخارج بات مستحيلاً بسبب الحرب والحصار.[1] دافعي الأول إلى كتابتها كان إرسالَ صوتي إلى قرّاء الآداب التي شعرتُ بأنّها ستغيبُ عنهم زمنًا طويلاً (وهو ما حصلَ فعلاً: فقد غابت ثلاثةَ شهور ـ وهذا ما لم يَحْصل منذ تسلُّمي رئاسةَ التحرير عامَ ١٩٩٢). لكنّني كنتُ أشعر أيضًا بالخيْبة من كثيرٍ من المثقفين اللبنانيين الذين تكاسلوا عن نصرة المقاومة، أو اعتَبروا أنّها تَنْطق بلسانِ طائفةٍ معيّنة ومذهبٍ محدّد و«محور» مخصوص. وأكثرُ ما أغاظني حينَها أنّ «ثقافةَ المقاومة» في لبنان عانت شِبْهَ غيابٍ في الأيام الأولى من الغزو؛ وإلاّ فكيف نفسِّر أنّ كثيرين من دُعاة تلك الثقافة راحوا يُطْنبون في الحديث عن «الذريعة» التي قدّمها حزبُ الله للعدوّ بأَسْرِ الجنديّيْن الإسرائيليّيْن ـ وهم الذين فَلَقونا في السابق بـ «مطامع إسرائيل التاريخية» و«مخطّطاتها التاريخية»؟ ما بالهم الآن استكانوا لمنطق «الذريعة» البائس الذي لم تَحْتَجْه إسرائيلُ يومًا لضرب لبنان وسرقةِ مياهه وقتلِ مواطنيه واستباحةِ أراضيه جوّاً وبحرًا وبرّاً؟ ثم ما بالُهم لا يَنْبسون ببنتِ شفة ضدّ الرئيس السنيورة وحكومتِه الرثّة اللذيْنِ «لم يتبنّيا» عمليةَ الأَسْر، فخلّفا المقاومةَ الوطنية مكشوفةً سياسيّاً أمام «المجتمع الدولي» المعادي بمعظمه؟ وماذا دهاهم حتى راحوا يردِّدون كالببغاءات مقولةَ «الإجماع الوطني،» وملخَّصُها أنّ حزب الله ما كان عليه أن يقوم بالعملية قبل الحصول على موافقة الشعب اللبناني ـ والمقصودُ بـ «الشعب اللبناني» طبعًا: تيّارُ الحريري والقواتُ اللبنانية والحزبُ الاشتراكي أساسًا، وهي الأطراف المعادية قولاً وعملاً للمقاومة وحليفةُ رايس وولفويتز وفهد؟ وهل نسوا ما علّمونا إيّاه من أنّ العمل المقاوم لم يحتجْ يومًا إلى إجماع، بل يَبْدأ بحفنةٍ من المقاتلين الشجعان يتقدّمون المجتمعَ بقبضاتهم وكرامتهم ودمهم؟ ألم يكن ذلك ما حدث عند بدء «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» في أيلول ١٩٨٢؟ ألم يبدأ الجنرال دوغول (مثالُ «الليبراليين» في لبنان) بقلّةٍ من الجنود مقارنةً بالجنرال بيتان، على ما تَذْكر إليزابيث طومبسون في كتابها **Colonial Citizens**؟ وما لبث مثقفونا أنِ اهتدوْا، بعد قليل عناء، إلى مقولة «الدولة،» فوضعوها في مقابلِ «المقاومة» ـ وكأنّ الدولة التي يتناتَشُها زعماءُ الطوائف وزبائنُ الأنظمة العربية والدولية قادرةٌ وحدها على تحريرِ الأرض واسترجاعِ الأسرى.

وكان مؤسفًا أيضًا أن يتلطّى أكثرُ مثقفينا خلف كراهيّتهم (المشروعة) لاستبداد النظاميْن السوري والإيراني من أجل تبرير انكفائهم عن نصرة المقاومة ـ وكأنّه يستحيل أن نتحفّظ عن ذيْنك النظاميْن وننتصرَ في الوقت نفسه للمقاومة ولمبدإ التصدّي للعدوّ التاريخي الذي يغزونا في عقر دارنا. وفكّرتُ وأنا أكتب تلك الافتتاحية: إنّ هؤلاء المثقفين الذين يتصدّرون وسائلَ الإعلام والصحفَ الرئيسية يدينون سياسةَ المحاور نظريّاً، ولكنّهم ـ عمليّاً ـ يصطفّون في محورٍ معادٍ للمقاومة حين يُحْجمون عن دعمها بحجّةِ ولائها لمحورٍ معيّن. وتساءلتُ في سرّي: إذا كانت المقاومةُ الإسلاميةُ عميلة للمحور السوري ـ الإيراني، فمَنْ يا تُرى يقف في المحور الإسرائيلي ـ الأميركي المقابل؟ إنّ أولئك المثقفين الطُّهوريين يَرْفضون كلَّ المحاور، ولكنّهم يتناسَوْن ـ وهم المؤرِّخون وعلماءُ الاجتماع الذين تغنّوْا

[1] ـ عنوان الافتتاحية: «حرام... لبنان؟» ويمكن قراءتُها على الموقع www.adabmag.com

سنواتٍ بعد سنواتٍ بثوراتِ الجزائر وڤيتنام وفلسطين وكوبا... ـ أنْ ليس ثمةَ حركةُ تحررٍ عالمثالثيةٌ واحدةٌ إلاّ واستندتْ إلى حليفٍ إقليميّ و/أو عالميّ (الاتحاد السوڤياتي، الصين...) لم يكن أقلَّ بطشًا يومَها من نظامَيْ سوريا وإيران اليوم. أمْ أنّ لبنان قادرٌ في رأيهم على أن يشكِّل محورًا بذاته، استنادًا إلى وحدته الوطنية وأرزه الشامخ وعَرقه البلديّ؟ وهل يُعقل أنّ من دَرَسَ ودرَّسَ تواريخَ الشعوب وتاريخَ لبنان المعاصر يؤْمن فعلاً بأنّ «المقاومة الديبلوماسية» (بِدْعَةَ الشيخ سعد الحريري) ستسترجع الأسرى والأرضَ استنادًا إلى قراراتِ الشرعيةِ الدوليةِ وحدها؟

❖ ❖ ❖

تُرجمت افتتاحيتي إلى الإنكليزية والإسبانية وربّما إلى لغات أخرى، ووُزِّعتْ على أكثر من عشرة مواقع إلكترونية ضخمة. لكنّني في الأسبوع الثاني من الغزو بتُّ أشعرُ بضرورةِ العمل على إيجاد موقف **جماعيّ** ثقافي لبناني يتخطّى أفكاري الشخصية. ولعلّ دافعي الأساسَ إلى ذلك لا يعود فقط إلى تربيتي البيتيّة (فقد قضى أبي سهيل نصفَ عمره يكْتب أمامي البياناتِ ويَجْمع التوقيعات عبر الهاتف ـ إذ لم يكن ثمة إنترنت في زمنه)، وإنما إلى قناعتي أيضًا بأنّ البيانات والعرائض أمرٌ ضروريٌّ ولاسيّما إبّانَ الأزمات الوطنية. والحق أنّني لم أقف طويلاً أمام ما قد يكْتبه ضد بياننا العتيد ليبراليو آخرِ زمن الذين يَمْقتون البيانات والشعارات والمواقفَ الجماعية ضَنّاً منهم بـ «فرديةِ» المثقف و«تميُّزه» وابتعاده عن عقلية «القطيع» ـ فهذه جميعُها، في رأيي، لا تَحُول دون أن يَكونَ هناك صوتٌ جمعيٌّ، شرطَ أن يكون نقديّاً ولو في الحدودِ الدُّنيا. ومع ذلك فقد تردّدتُ: أيكون البيانُ الذي سأجْمع عليه التواقيعَ موجَّهًا ضدّ إسرائيل وحدها؟ أمْ ضدّ أميركا أيضًا؟ أمْ يَشْمل حكومةَ السنيورة التي خذلت المقاومةَ، ويَشْمل الأنظمةَ «العاقلةَ» التي غطّت العدوانَ حين اتّهمتِ المقاومةَ بـ «المغامرة»؟

لم يكن سهلاً العثورُ على جوابٍ سريعٍ في هذا الشأن. فالغاية الأولى من البيان هي الوصولُ إلى موقفٍ جماعيّ كما ذكرتُ ـ ولو في الحدّ الأدنى. ولذا فإنّ أيَّ نقدٍ لما يتعدّى إسرائيلَ (وربّما الولاياتِ المتحدةَ) سيُقلِّل من عدد الموقِّعين، وقد يَمْنع الأسماءَ «المعتبرةَ» ذاتَ «الارتباطات» من التوقيع. ولكنْ ما قيمةُ بيانٍ جماعيّ لا يحدِّد موقفًا واضحًا من الدولة والأنظمة، ولا يَدْفع كلَّ الأطراف إلى تحمُّل مسؤولياتها؟

تلك الليلةَ، وفي خضمّ تردُّدي، تحدّثتْ معي إحدى الصديقات على الهاتف. كانت كعادتها غايةً في التهذيب، لكنّه تهذيبٌ يَقْطر عدوانيةً وطبقيةً. «كيف يَجرُّ حزبٌ واحدٌ بلدًا بأكمله إلى الحرب؟»، «ولماذا يُدمِّر حزبُ اللّه كلَّ إنجازاتنا الحضارية عبر هذه السنين؟»، «كَبِّر عقلَكْ يا سماح، هل يستحقّ ثلاثةُ أسرى أن نَخْربَ البلدَ لتحريرهم؟»، «أتستأهل مزرعةٌ أن نُحْرقَ وطنًا وشعبًا؟». كنتُ أقابل صديقتي تهذيبًا بتهذيب، ولكنّي كنتُ في داخلي أحترق وتَفُوحُ رائحةُ حريقي ويعلو صوتي تدريجيّاً. إلى أن هَزِئتْ بمزارع شبعا وبالأسرى، وزَعمتْ أنّ كلَّ طموح فقراء الجنوب هو أن يصيروا «أغنياءَ مثلَنا.» عندها وجدتُني أَخْرَج عن طوْري (أو بالأحرى أعود إليه) فأَشْتمُ مونو والأشرفية وڤردان، وأَشْتم أختَ البورجوازية (التي أنا منها)، وأَشْتم أُمَّ مَنْ خَربوا البلدَ بالديون والفسادِ وفرض الوصايةِ السورية والفرنسيةِ والأميركيةِ والسعودية... قبل أن يحمِّلوا المقاومةَ مسؤوليةَ الخراب!

عدتُ إلى المنزل وجميعُ الأعضاءِ التناسليةِ، الخاصةِ بالذكور والإناث، تَنقذف من فمي. قلتُ لنفسي انْ لا مجال للتهاون: فإمّا موقفٌ جذريٌّ ممّا يحدث، أو فليذهبْ موقفُنا «الجماعي» إلى الجحيم. لا معنى لبيانٍ لا يبهدل الحكومةَ اللبنانيةَ والأنظمةَ «العاقلة،» ولا يدعو إلى مقاطعة البضائع والشركات والمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية والشركات الداعمة لإسرائيل أيّاً كانت جنسيّتُها. لا معنى لبيانٍ لا يقف، دون أدنى لبْسٍ، إلى جانب حقّ المقاومة في تحرير الأرض واسترجاع الأسرى... حتى لو لم تكن تلك المقاومةُ علمانيةً ويساريةً وقوميةً عربيةً ومؤيِّدةً لتحرير المرأة!

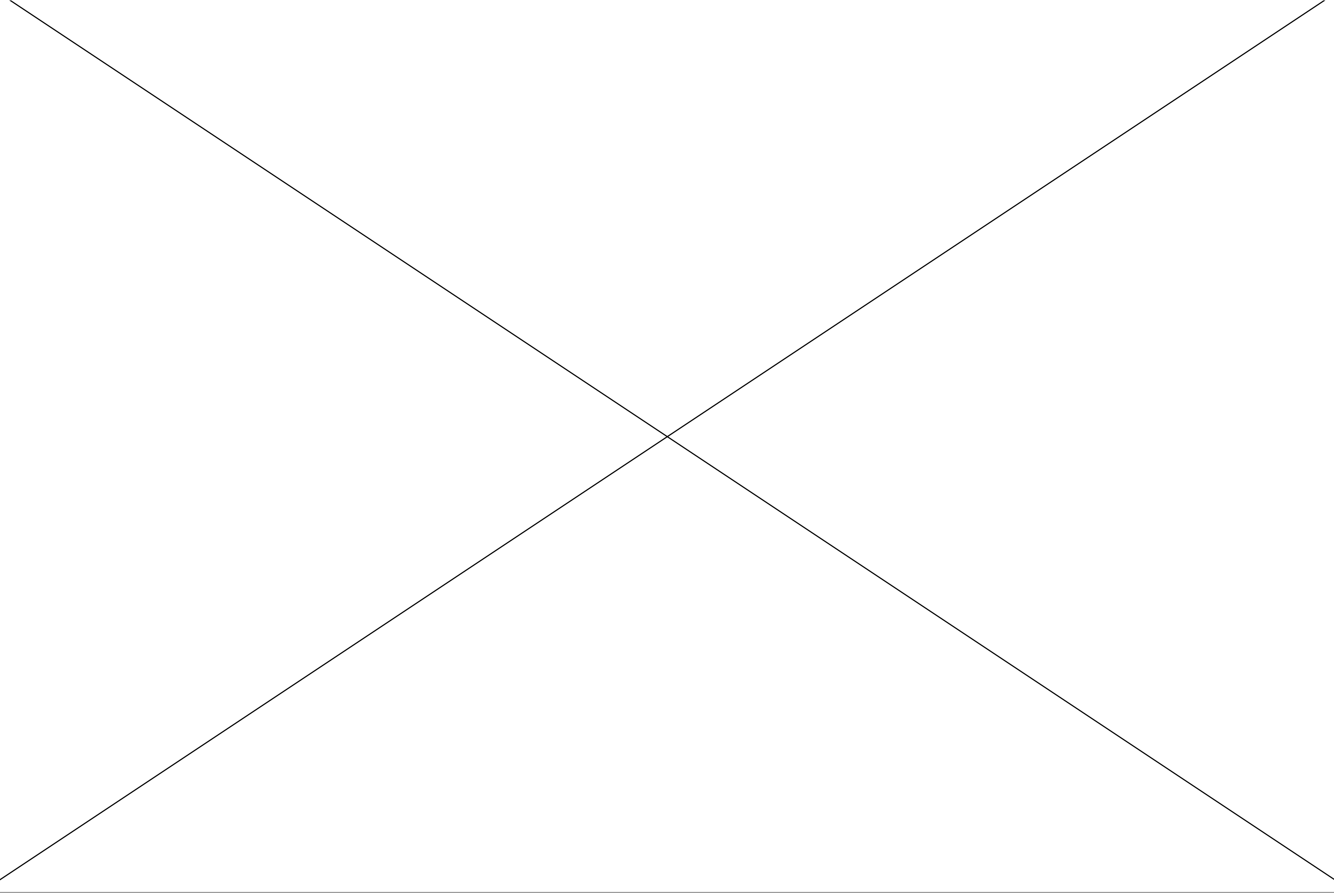

اتّصلتُ بالصديق نصري الصايغ، فرحَّبَ بفكرة إصدار بيان. كتبتُه، وفي اليوم التالي أَطْلعتُه عليه، وبدأتُ جمعَ التواقيع.(١)

من أهداف البيان الأولى غيرِ المباشرة أن نبيِّنَ للرأي العامّ، وبخاصةٍ العربيّ، أنّ ثمة مثقفين لبنانيين مازالوا بعيدين عن الانبهار بالجحيم «الديموقراطي،» ويَدْعون نظراءهم إلى اتّخاذ خطواتٍ ملموسةٍ داعمةٍ للمقاومة (باستخدام أسلوب المقاطعة مثلاً). كنتُ أَشْعر أنّ موقفَ كثير من المثقفين العرب (كأحمد عبد المعطي حجازي مثلاً) مشوَّشٌ تجاه المقاومة، بل ومعادٍ لها بحجّة «إيرانيَّتها» و«أصوليّتها» ـ وكأنّ هاتيْن التهمتيْن كانتا ستَبْرزان أصلاً لولا خيانةُ الأنظمة العربية وتراجُعُ اليسارِ والحركاتِ القومية والعلمانية العربية أو تخاذُلُها أحيانًا.

لكنّني أعتقد أنّنا كنّا نريد أيضًا أن نقول للمقاومة، من خلال هذا البيان، إنّها ليست معزولةً تمامًا عن المثقفين اللبنانيين، أو إنّ تأييدَها لا ينحصر في الطبقات الشعبية «غيرِ المثقفة» داخل الطائفة الشيعية وحدها. نعم، لقد اشترى البترودولار كثيرًا من الصحافيين والمثقفين اللبنانيين، أو دَجَّنهم، لكنْ بقي البعضُ على تأييده للمقاومة المسلّحة، أيّاً كانت طائفتُه أو مذهبُه أو إيديولوجيّتُه السياسية. وكان ينبغي لهؤلاء أن يوجِّهوا إلى مقاتلي حزب الله رسالةً واضحةً: نحن مع حقّكم المطلق في المقاومة.

المُدْهش في الأمر أنّ البيان بدأ بحلقةٍ صغيرةٍ من بعض الكتّاب في الآداب و**السفير** و**الأخبار**؛ لكنّه ما لبث أن طاول عشراتٍ آخرين في لبنان ـ على رأسهم مثقفون وأكاديميون تابعون للتيار الوطني الحرّ (بقيادة الجنرال ميشال عون) أو عاملون في الجامعتَيْن الأميركية واللبنانية. والطريف أنّ البيان حَصَدَ، بعد أيام قليلة، توقيعاتِ مثقفين عرب وعالميين، مع أنّه لم يكن يخاطبهم مباشرةً في الأصل، وعلى رأسهم صنع الله إبراهيم وبهاء طاهر وأهداف سويف ونورمان فنكلستين وطارق علي وبرهان غليون ورضوى عاشور ومريد البرغوثي وتيسير بركات ونبيل عناني ونصر حامد أبو زيد وهاني أبو أسعد وكمال بلاّطة ونادر فرجاني وعشراتُ الأنثروبولوجيين والمؤرِّخين ـ الأميركيين بشكلٍ خاصّ. وعلى المقلب الآخر رَفَضَ مثقفون يساريون ووطنيون لبنانيون التوقيعَ على البيان بحججٍ أبرزُها ما يلي:

١ ـ راجع الوثيقة ـ ١ ـ من هذا العدد، ص ١٧٤.

أ) أنّ المقاومة «حالةٌ شيعيةٌ» ولم تصبح جزءًا من النسيج الوطني اللبناني (وكأنّ ابتعادَ المثقفين الوطنيين عنها سيُشجِّعها على أن تصبح كذلك)؛ ب) أنّ حزب الله مسؤولٌ عن قتلِ مهدي عامل وحسين مروّه قبل حوالى عشرين عامًا (مع أنّ نائب الأمين العام للحزب الشيوعي وقّعَ على البيان)؛ ج) أنّه لا مبرِّر للهجوم الآن على الحكومة اللبنانية لأنّ المرحلة الراهنة مرحلةُ وحدةٍ وطنيةٍ لبنانيةٍ ضدّ إسرائيل (وكأنّ حكومة السنيورة لم تكن **هي** التي بادرتْ إلى «عدمِ تبنّي» عملية الأَسْر البطولية).

على كلِّ حال خسِرْنا بعضَ الأسماء (ومنها مَنْ سبق أن رَفَضَ التوقيعَ على بيانٍ ضدّ الغزو الأميركي للعراق بذريعة «إجرام صدّام»!)، ولكنّنا رَبِحْنا أسماءً عربيةً وعالميةً ولبنانيةً محترمة جداً. وبلغ مجموعُ الموقِّعين حوالى ٥٠٠ اسم مع توقُّف العمليات الحربية، وتُرجمت العريضة إلى لغاتٍ عدّة ووُزّعتْ على عشرات المواقع الإلكترونية الضخمة ونشرتْ في مجلة **Middle East Report** الأميركية. والأهمّ أنّنا لم نتنازلْ عمّا اعتبرناه صحيحًا لمجرّدِ كسبِ المزيد من الأسماء التي لا نشكّ في أنّها «معتبرة.»

❖ ❖ ❖

كنتُ ما أزال في أجواء البيانات والعرائض، ففكّرتُ في ضرورة التوجُّه إلى فئةٍ تتعدّى العاملين في الشأن الثقافي. وأيُّ هدفٍ أحقّ بأن تتوجّهَ السهامُ الشعبيةُ إليه من رمزِ السياسة الأميركية الغاشمة في لبنان، المستر دجفري فيلتمان؟

هكذا وُلدتْ في رأسي فكرةُ كتابةِ عريضةٍ تطالب الحكومةَ اللبنانيةَ بقطع العلاقات الديبلوماسية مع الولايات المتحدة، وبطردِ السفير فيلتمان. واستندتُ في صياغة العريضة إلى الدعم العسكري والمادي الأميركي المعروف للعدوان الإسرائيلي؛ فضلاً عن قراريْ مجلس الشيوخ والنوّاب الأميركييْن الأخيريْن ٥٣٤ و٩٢١ بدعم هذا العدوان؛ والڤيتو الأميركي في مجلس الأمن ضدَّ أيِّ وقفٍ لإطلاقِ النار. وصادف أنّ كبرياتِ الصحف الأميركية نشرتْ نبأَ حصولِ لقاءٍ قبل حوالى شهر من الغزو في كولورادو بين مسؤولين أميركيين وصهاينة تمّ فيه التخطيطُ لهذا الغزو. وحين انتهيتُ من العريضة عرضتُها على محامييْن مناضليْن، قبل أن أَدْفعَ بها إلى بعض الناشطين الشباب لجمع التواقيع عليها.(١)

كانت الفكرة بسيطة: فأكثرُ المتضرِّرين من العدوان الإسرائيلي هم بينَنا الآن؛ إنّهم النازحون من الجنوب إلى مدارس بيروت! فبدلاً من أن نَذْهب إلى الجنوب لجمع تواقيعهم ضدّ السفير الأميركي، ها هو الجنوبُ يأتي إلينا. ولن يكون صعبًا جدّاً، كما ظَنَنّا، أن نَجْمعَ مليونَ توقيع (عددُ المهجّرين وحدهم). طبعًا لن يكون للعريضة مفعولٌ تنفيذيٌّ؛ فحتّى لو وقّعها الشعبُ اللبنانيُّ بأكمله فذلك لن يشكِّل في ذاته سببًا كافيًا لأن تبادرَ الحكومةُ (وهي ما هي عليه من تحالُفٍ مع رعاةِ «ثورة الأرز») إلى طرد السفير المذكور. غير أنّ الهدف كان معنوياً في الأساس، ومفادُه أنّنا ـ كحشود هائلةٍ من لبنان ـ نَعْرف المجرمَ الرئيسيَّ وندينه. وكنتُ آمل أن يتلقَّفَ المثقفون والقوى الوطنيةُ في الأقطار العربية (ولاسيّما مصر والأردن والمغرب) العريضةَ، فيطالبوا ـ بدورهم ـ بطرد السفير الأميركي في بلدانهم لكونه ممثِّلَ الدولةِ التي تسفك دماءَ إخوانِهم وأخواتِهم في لبنان. غير أنّني ـ ويا للأسف ـ لم أتمكّنْ من متابعة انتشار العريضة بين الناس، ولعلّ تقصيرًا ما قد حَصَل من جانب الناشطين المُوكَلين بهذا الأمر. ومع ذلك، فالعريضة يجب ألاّ تكونَ «بنتَ ساعتِها» كما يُقال؛ ذلك أنّ الولايات المتحدة تبقى في الماضي القريب وفي الحاضر أيضًا المسؤولةَ الأولى عن مصائبنا العربية... أو هي تتقاسم هذا «الشرفَ» مع أنظمتنا الاستبدادية (كي لا يَغضبَ منّا كثيرًا أصحابُ تقديم أولويّة محاربة الاستبداد على الاستعمار). وعليه، فالعريضة ما زالت راهنةً، وبرسمِ الناس، وعلى رأسهم أهالي الشهداءِ والجرحى.

❖ ❖ ❖

١ ـ راجع نصّ العريضة تحت الوثيقة ـ ٢ ـ من هذا العدد، ص ١٨٣.

لم يعد ثمةَ من معنًى لتنقُّلاتي شبهِ اليومية بين بيروت وشقّتنا الصيفية التي كنّا قد استأجرناها قبل أكثر من شهرٍ على الغزو الإسرائيلي. فالبنزين يكاد ينفد من المحطّات؛ والطُّرُقُ تُقصف أحيانًا؛ والأرقُ يباغتني كلَّ ليلة أقضيها في مصيفنا. لذا قرّرتُ في النهاية أن أنزلَ إلى بيروت وأبقى هناك... حتى لو لم أفعلْ شيئًا ذا قيمة. واتّخذتْ كيرستن القرارَ نفسَه، دون أدنى تشاور. أما طفلتانا، فأمرُهما للّه.

في تلك الفترة (أوائلَ شهر آب) كان عددٌ من نشطاء «حركة التضامن العالمية في فلسطين» (ISM) قد جاءوا إلى بيروت للتضامن مع الشعب اللبناني في مواجهة العدوان. وكنتُ أعرف عددًا منهم، بل سبق أن قدّمتُ مناضليْن بارزيْن من الحركة، هما آدم شاپيرو وپول لارودي، في «نادي الساحة» ـ الأول منذ عاميْن والثاني قبل شهريْن.[1] وهكذا بدأ بعضُ الناشطين اللبنانيين والعرب والدوليين بعقد الاجتماعات في منزلنا من أجل التخطيط لنشاطاتٍ مدنيةٍ في وجه الاحتلال الإسرائيلي.

كان شعورُ المجموعة الجديدة (التي بدأتْ تَعْمل تحت اسم «حملة المقاومة المدنية»)[2] أنّه لم يعد يكفي العملُ في مجال إغاثة النازحين في بيروت والشوف والجبل، على أهمية ذلك، بل بات المطلوبُ أمريْن: أ) تحدِّي الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الجنوبية، ب) دعم بقاء الصامدين هناك. وبعد أيام طويلة من النقاش، شاركَ فيها ما لا يقلّ عن خمسين ناشطًا لبنانيّاً وعربيّاً ودوليّاً، قرّرنا إرسالَ «قافلةٍ مدنية» محمّلةٍ بموادّ الإغاثة إلى الجنوب (صُور تحديدًا، أو ما بعدها إذا أَمْكن).

كان الهدفُ معنويّاً ووطنيّاً أكثرَ منه إغاثيّاً؛ فنحن لم نكن نَمْلك عُشْرَ إمكانياتِ أيِّ مؤسّسةٍ دولية، غير أنّنا نَمْلك مشاعرَ عامرةً بروح التضامن الوطني (لا الإنساني وحده) مع الجنوبيين، الذين نعتبرهم خطَّ الدفاع الأول عن لبنان، بل عن وجودنا نحن كأفرادٍ في أيِّ بقعة لم يدنِّسها الإسرائيليون بعد. وكنّا متحرِّقين شوقًا إلى أن نُظْهرَ لمن اختاروا أن يَبْقوا في الجنوب رغم القصف والاحتلال أنّ هناك من يُقدِّر صمودَهم، وأنّنا (هكذا

١ ـ الجدير ذكرُه أنّ «حركة التضامن العالمية» هي الحركة التي انضمّت إليها الشهيدةُ رايْتِشل كوري (راجعْ رسائلَها الإلكترونية قبل استشهادها في الآداب، ٣/٤ ـ ٢٠٠٦).

٢ ـ لمزيدٍ من المعلومات عن هذه الحملة وسُبُلِ دعمها والمشاركة فيها، أنظرْ: www.lebanonsolidarity.org

وبمثاليةٍ وعفويةٍ وربّما بسذاجة) في صدد الإسهام ـ بمعيّتهم ـ في بناءِ هويّةٍ وطنيةٍ لبنانيةٍ جامعةٍ يكون أساسَها الأولَ العداءُ لإسرائيل.

سيكون صعبًا جداً اختزالُ أيامٍ طويلةٍ من النقاش الداخلي ضمن «حملة المقاومة المدنية.» وللقارئ أن يتصوّر حلقةً تتراوح بين ٣٠ و٥٠ شخصًا في صالونٍ واحدٍ، أعمارُهم تتراوح بين بداية العشرينات وأوائل الستينات، وجنسياتُهم تبدأ من لبنان وتصل إلى الولايات المتحدة مرورًا ببريطانيا ومصر وفلسطين وقبرص واليونان وإسبانيا وفنزويلا. إنّه، بكلمة، برجُ بابل من اللغات واللكنات والتجارب والتوقُّعات والإمكانيات والمعارف، تجتمع طبقاتُه ـ للمرة الأولى في حياتها ـ في ركنٍ واحدٍ، وعلى إيقاع التقدّم الإسرائيلي. وإذا كان لي أن ألخّص الأسئلةَ الأبرزَ التي واجهتْ سكّانَ ذلك البرج، فسأقول إنّها التالية:

أ ـ هل نوافق على أن تكون قافلتُنا برعاية مؤسساتٍ دوليةٍ كـ «برنامج الغذاء الدولي» WFP؟ وجاء القرارُ بالرفض؛ ذلك أنّ أكثرَ هذه المنظّمات الدولية (وربّما جميعَها) تنسّق مع الاحتلال (الإسرائيلي في هذه الحال) قبل أن تتّجه صوبَ المناطق المحاصَرة. وأمّا حملتُنا فكان مبرِّرُ وجودها عدمَ الاعتراف بحقّ إسرائيل في أن تحدِّد أين نسيرُ وأين نقف: فهذه أرضُنا، ولنا الحقُّ في أن نَذْهب حيث شِئنا فيها، وعلى الاحتلالِ الرحيلُ.

ب ـ هل نَسْمح بدخول قوًى و«شخصياتٍ» سياسيةٍ إلى القافلة؟ هنا أيضًا جاء قرارُنا بالرفض. ولا يعود السببُ فقط إلى أنّنا كنّا نحاول أن نفوِّت على العدوّ فرصةَ قصفِنا بذريعةِ انتمائنا السياسي (وهو متنوِّعٌ أصلاً ويضمّ مقرَّبين من كتلة ١٤ شباط إلى ٨ آذار وما يتعدّاهما)، بل لأنّ نشاطَنا يُفْترض به أن يتخطّى الحزبيّات. وعليه، فقد سَمَحْنا لأيٍّ كان بأن يشارك في القافلة بصفته الشخصية، شرطُ أن يَحْضر الاجتماعات التمهيدية وألاّ يَحْملَ أثناء المسيرة السيّارة أيَّ شعارٍ حزبيّ أو عَلَمٍ غيرِ العَلَمِ اللبناني. (بالمناسبة، لستُ مُغْرمًا بهذا العَلَم ولا بغيره، ولكنّه كان رمزًا ـ مؤقّتًا على الأقلّ ـ للهوية الجامعة التي حاولْنا أن نشدِّد عليها).

ج ـ ما هو موقفُنا من حزب الله؟ كان الجواب بدهيّاً بالنسبة إليّ: فأنا طبعًا مع حزب الله في هذه المرحلة تحديدًا، ومع سلاحه، بل مع أيّ سلاحٍ يُرْفع في وجه إسرائيل، في أيّ مكانٍ وأيّ زمان. ولكنْ كان في صفوفنا أشخاصٌ ضدّ العدوان الإسرائيلي من دون أن يكونوا (بالضرورة) مع حزب الله. لذا تَقرَّر أن يكون موقفُنا «الرسمي» هو أنّنا معادون للاحتلال الإسرائيلي، وأنّ أيَّ خلافٍ داخليّ بخصوصِ سلاحِ حزب الله والمقاومة «مرهونٌ حلُّه بالمجتمع اللبناني لا غير.»

د ـ ألن يكون عملُنا مغامرةً كبرى، حظوظُ الفشلِ والموتِ فيها تُعادِلُ (أو ربّما تتجاوز) حظوظَ النجاح والحياة؟ لم نكن مجموعةً استشهاديةً ولا انتحارية، وإنْ كان احتمالُ خطرِ الموتِ والإصابةِ بالجروح ماثلاً أمامنا جميعًا. كان بيننا مَنْ يتّقد حماسًا للتحدِّي والمواجهة، ولو بحساباتٍ ضعيفة. وكان بيننا ناشطون جاءوا من خلفيّةِ مواجهةِ إسرائيل داخل فلسطين، أيْ بتجربةٍ غنيّةٍ ولكنْ مختلفةٍ كثيرًا عن واقعنا الآن ـ حيثُ السيادةُ في الجنوب للطائرات الإسرائيلية لا للجنود المترجّلين كما هو الحال في رفح مثلاً. ومع ذلك فقد توصّلنا إلى تخفيف عناصر المغامرة قدرَ الإمكان بالتشديد على أنّنا لن نُقْدِمَ على إرسال القافلة قبل تحقيق الأمور الثلاثة التالية: ١) تأمين عدد كبير من السيّارات المشاركة لا يقلّ عن خمسين أو مئة (وكنّا قد «أمّنّا» إلى ما قبل انطلاق القافلة ببضعة أيام أكثرَ من خمسين سيّارة فعلاً). ٢) تأمين أكبر عدد من وسائل الإعلام المرافقة، وبخاصةٍ الدوليّة، وعلى رأسها CNN وTV5 وBBC، وبمعيّةِ مراسلين غربيين، على أساس أنّ إسرائيل ستفكِّر مرتيْن قبل أن تَقْصفَ قافلةً تَشْمل مواطنين أميركيين وأوروبيين «بيضًا.» ٣) تأمين أكبر عدد من المشاهير؛ فالعدوّ سيفكِّر ثلاثَ مرّاتٍ قبل أن يَقْصف قافلةً تضمّ شخصياتٍ مثلَ سوزان ساراندن وشون پنْ ونوم تشومسكي وجوليا بطرس وحسين فهمي (بل اقترح أحدُنا ـ ولعلَّه أنا ـ اسمَ الرئيس الأميركي السابق دجيمي كارتر).

كيرستن شايد

عبد الرحمن زعزع (من «حملة المقاومة المدنية») وأطفال سلعا

هـ ـ ما تُرانا نَفْعل إذا قُصِفت القافلةُ، أو قُصِفَ مقدَّمُها، أوْ مؤخَّرُها، أو على مقربةٍ منها؟ هنا تشعَّبَ النقاشُ واحتدم، ثم تشكّلتْ لجنةُ «اتّخاذ قرار» أُوكِلتْ إليها هذه المهمةُ الصعبة.

عشيةَ انطلاقِ القافلة تبَيَّن لنا أنّ شروطَ سير القافلة لم تتحقَّقْ لا من حيث السيارات (إذ انخفض عددُ السيارات «المضمونة» من ٥٠ إلى ٦ فقط !)، ولا من حيث وسائلُ الإعلام الأجنبية المرافقة، ولا من حيث المشاهير (بعضُهم وَعَدَ ثم نَكَث بوعده، والآخرون لم يتمّ الاتصالُ بهم أصلاً). علاوةً على ذلك، بات من المستحيل الوصولُ إلى صُور بسبب القصف وقَطْع الطرق والجسور. وكان يُفترض، والحالةُ هذه، أن تؤجّل القافلةُ إلى حين استكمالِ الشروط. لكنّ «الحملة» مَضَتْ قُدُمًا وعزمتْ على التوجُّه إلى النبطية!

انسحبتُ غاضبًا، وآسفًا، وخائفًا على زملائي (وخاصةً كيرستن) الذين خالفوا ما سَبَقَ أنْ قررناه. ويبدو أنّ الحملة تلقّت جرعةً إضافيةً من الحماس في اللحظات الأخيرة، إذ حَضَر الاجتماعَ عشيّةَ التوجُّهِ إلى الجنوب عشراتُ الأشخاص الذين أَعْربوا عن رغبتهم في الانضمام مع أنّهم لم يكونوا قد حَضَروا أيَّ اجتماعٍ سابق، بل ولم يملأوا الاستماراتِ الصحيّة والأمنيّة التي أعدّتهاً كيرستن![1]

سأُعفي القارئ من وصفِ تلك اللحظات العصيبة التي عشتُها ليلةَ الانطلاق. فها أنا في البيت، وكيرستن في مقهى «تاء مربوطة» تَعْمل على إعداد القافلة المغامِرة. كان الغضبُ يَحْفر في عظمي حَفْرًا، والشتائمُ تتطاير (كالعادة) من فمي. كيف يَفْعلون ذلك؟ ولماذا يعرِّضون أنفسَهم لموتٍ (غيرِ محسوب)؟ ولماذا يعرِّضون الحملةَ، حتى قبل نشوئها الفعلي، للانهيار؟ في تلك الساعات قرّرتُ أن أركِّز على وظيفةٍ واحدة: أن أكونَ أبًا! عدتُ إلى سارية وناي بعد غياب أيام طويلة، ورحتُ ألعبُ معهم، بعصبيةٍ واضحةٍ طبعًا. وكنتُ، كلَّ دقيقتيْن، أستغلّ الفرصةَ لأتسلَّل إلى التلفزيون بغيةَ الاطّلاع على آخر الجسور المهدَّمة، أو لأكتبَ إلى كيرستن رسالةً خلويةً أَلْعن فيها أباها وأبا الحملة (والأكيد أنّ كيرستن رَدَّتْ بالمثل، بل وكالتْ لي الصاعَ صاعيْن).

الحاصل أنّ القافلة انطلقتْ على بركة اللّه وحده، لا شريكَ له. وبعد أن عملتْ كيرستن طوال الليل على إعداد السيارات

١ ـ للتفصيل، راجعْ مقال كيرستن شايد، «صيفٌ بين المطر والرعد،» في هذا العدد.

والمعلومات الصحيّة الخاصة بكلِّ مشارك، قرّرتْ هي الأخرى عدمَ الذهاب. ومثلَها فَعَلَ عددٌ آخر من أعضاء الحملة. وهنا حصلت المفاجأة التي لم نكن نتوقّعها: فقد أَوْقفتْ قوى الأمن الداخلي القافلةَ عند جسر «الناعمة» ومنعتْها من المضيّ بحجّة الخوف على حياتها، مع أنّ القوى المذكورة (التي تأتمر بقرارات الوزير الهُمام أحمد فتفت الذي سيُصْدر لاحقًا أمرًا بتسليم ثكنة مرجعيون للعدوّ) سَمَحتْ لأكثر من مائتيْ سيّارةٍ أخرى بالعبور!

عادت الحملةُ من الرحلة خائبةً. أكان ثمة تقصير في إعلام القوى الأمنية بالرحلة قبل قيامها؟ «رشا» أكّدتْ أنّها اتصلتْ فعلاً بها وأعلمتْها. وفي أيِّ حال، هل سنسترجع الآن صورةَ البكباشي جمال عبد الناصر في الفالوجة (فلسطين) حين اكتَشَفَ، بعد مهزلة «الأسلحة المصرية الفاسدة،» أنّه لا يُمْكن تحريرُ فلسطين قبل تحرير مصر (أيْ تغيير النظام)؟ أكان يُمْكن فعلاً تحدِّي الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب من دون أيّ اعتبارٍ للحكومة «السوپر حريصة» على أمن القافلة وغيرِ الحريصة أبدًا على أمنِ السيارات المئتيْن الأخرى خارج القافلة؟!

قد أكتب عشراتِ الصفحات الأخرى عن الخطوات الأولى في هذه التجربة الرائدة رغم فشلها في تحقيق هدفها الأساسي ـ وهو تحدِّي الاحتلال. ففيها تكثّفتْ جملةُ عِبَرٍ سترافقنا وقتًا طويلاً، خاصةً أنّ الحملةَ لم تتوقّف، بل هي اليوم في طورٍ جديدٍ، أكثرَ ريادةً، وأشدّ وعيًا وخَلْقًا، كما سأبيِّن لاحقًا. ولكنْ لا بدّ الآن من ذِكْر دروسٍ سريعةٍ خلّفتْها تجربةُ القافلة المدنية في وعيي:

أ ـ ضرورةُ الالتزام بالقرارات الجماعيّة، بدلاً من التفرُّد والمزايدات والعنتريات.

ب ـ لزومُ الابتعاد عن أَمْثَلَةِ (أو رَنْطقة) «الوحدة اللبنانية،» أو على الأقلّ ينبغي إبقاءُ الشكوك حيّةً دومًا إزاء السلطة اللبنانية.

ج ـ الحرصُ على الاستفادة من تجارب المناضلين الدوليين، ولكنْ شرطَ عدمِ الخضوع لتوجُّهاتهم ولا حتى مسايرتها. فهؤلاء المناضلونَ المخلصون يأتون للتضامن معنا، غير أنّهم قد ينجرفون إلى محاولةِ فَرْضِ أفكارهم وتجاربهم إنْ رأوْا أنْ لا خططَ واضحةً لديْنا.

د ـ التشديدُ على التحدُّث بلغةٍ واحدةٍ أثناء النقاشات الداخلية، هي اللغة العربية، لا بلغةٍ أخرى أو بخليطٍ من لغتيْن أو أكثر. فاللغة جزءٌ من التفكير، وهي من ثم جزءٌ من صناعة القرار أيضًا. كما أنّ الحديثَ بالإنجليزية سينفّر (وقد نَفّرَ فعلاً) عددًا من اللبنانيين (المشاركين وربما المحتملين) الذين لا يَعْرفونها أو لا يُتْقِنونها. أما بالنسبة إلى المتضامنين الدوليّين، فعلينا في هذه الحال أن نترجمَ لهم قراراتِنا أو جزءًا من نقاشاتنا **بعد** الانتهاء منها، لا أن نَصْرِف وقتًا ثمينًا في ترجمةِ كلِّ شيء.

هـ ـ عدمُ الحكم مسبّقًا على الشخص بالاستناد إلى خلفيته السياسية وحدها. فالحقّ أنّ مِنْ بين أعضاء الحملة مَنْ كانوا يُحْسبون قبل ١٣ تموز على جماعة ١٤ شباط، ولكنّ نشاطَهم وكفاحيَّتَهم وإخلاصَهم بَزّتْ مَنْ قد يُحْسَبُ على الخطّ الغيڤاري!

❖ ❖ ❖

أثناء العمل على القافلة المدنية كان قلقي يتصاعد يوميّاً من حدّة التمذهب الطائفي في لبنان، وفي بيروت حيث أقيم؛ وهو ما أحسستُ أنّه سيشكِّل، في حالِ تفاقُمه، طعنةً نجلاءَ في ظهر المقاومة. واتّفقَ أن اتّصلَ بي صديقان، هما باسم حَسَن (بلجيكا) وزينب شرف الدين (بيروت)، وتحدّثا كُلٌّ على حدَة عن فكرةِ القيام بمظاهرةٍ حاشدةٍ تَجْمع مختلفَ الأطياف السياسية والشعبية اللبنانية تحت شعارٍ واحدٍ («لا لإسرائيل» أو شيء من هذا القبيل) وعلمٍ واحدٍ (هو العَلم اللبناني). وكما تلاحظون، فإنّ فكرةَ التوحُّد الوطني كانت تدغدغ خيالي في ذلك الشهر الرهيب؛ ومع أنّني عادةً أَميلُ إلى النقد والتدمير، فإنّه يَحْدث أن يصبح الواحدُ منّا أكثرَ سماحةً وأقلَّ تشنُّجًا في لحظاتٍ معيّنةٍ

من الحرب. وعليه، فقد اتّصلتُ بالصديق د. أدونيس العكرة (أستاذ فلسفة وناشط في التيار الوطني الحرّ) وعرَضتُ عليه فكرةَ مسيرةٍ أسميْتُها «من الشهداء إلى الشهداء» (أيْ من ساحة الشهداء في بيروت إلى الضاحية، حيث دُفن مؤخّرًا شهداء جددٌ يَفُوقون شهداءَ العسف التركي بمرّات). رحّب أدونيس شخصيّاً بالفكرة، ثم اتَّصَلَ بعد يوميْن فأكّد موافقةَ تيّاره على المشاركة ووعد بإرسال ممثّلة عن التيّار (تبَيَّنَ لاحقًا أنّها ناشطة أكاديمية متميِّزة وواعية). ثم اتّصلتُ بأحد الرفاق في حركة الشعب ـ قطاع الشباب والطلاّب، واتفقنا على عقد اجتماعٍ موسَّعٍ يضمّ ممثلين عن عدد من القوى السياسية والشبابيّة (الحزب الشيوعي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، حزب الاتحاد، حزب الله، حركة أمل، اتحاد الشباب الديموقراطي، فضلاً عن حركة الشعب و«التيار» طبعًا)، على أن يقوم رفيق من «الاتحاد» وآخر من «الشعب» بالاتصال بقوى ١٤ شباط/آذار ودعوةِ ممثِّليها إلى الاجتماع في مكتب مجلة الآداب.

حان وقتُ الاجتماع ولم يأتِ أيُّ ممثِّل عن كتلة ١٤ شباط/آذار. بل إنّ مسؤول الشباب في أحد أحزاب الكتلة المذكورة أَخبر الرفيقَ من «الاتحاد» بأنّه يريد «فتحَ ملفّي» قبل المجيء للتأكّد من وطنيّتي! رجوْنا الرفيق أن يعاود الاتصالَ بالكتلة، وتطوَّعَ شابٌّ آخر بالاتصال بقنواتٍ أخرى داخل تلك الكتلة، واتّفقنا على لقاءٍ ثانٍ موسّع في نادي الساحة. لكنّ أحدًا من المتغيِّبين لم يأتِ هذه المرة أيضًا. عندها بات واضحًا لدينا أنّ هذه الكتلة لا تريد المشاركةَ في تظاهرةٍ واحدةٍ معاديةٍ لإسرائيل، لا يُرفع فيها إلاّ العَلَمُ اللبناني، بل وتُمنعُ فيها كلُّ الصُّور (كنّا سنَبْذل قصارى جهْدنا للحؤول دون رفع صور السيد حسن نصر الله نفسِه لو وافق المتغيِّبون على المجيء).

في اجتماعنا المختصر، نحن عملاء النظام الأمني اللبناني ـ السوري المشترك (كما قد يسمِّينا السياديّون، آكلو السندويتش مع رايس، ومُمْتدحو وولفويتز، ومهنِّئو جون بولتون على إنجازاته، وفارضو الوصاية السورية طوال عقود، والمدافعون عن مسلِّمي ثكنةٍ مرجعيون إلى العدوّ، والمطالبون اليوم بقواتٍ دوليةٍ على المعابر السيادية كالمطار)، اقتَرَحَ أحدُهم أن ننسّقَ المظاهرة مع منظّمات المجتمع المدني بدلاً من ١٤ شباط. ولكنّنا حين اتّصلنا بممثِّلين عن الهيئة العليا لهذه المنظّمات، تبيَّنَ أنّها لا تشارك في «تظاهراتٍ سياسية»... إلاّ إذا كانت **كلُّ** الأطياف مشاركة!

وهكذا فَرَط المشروع. إذ لا مبرِّرَ للتظاهرة أو المسيرة إنْ كانت ستكونُ من «لونٍ واحدٍ» ـ في العُرْفِ الإعلامي السخيف الذي يصنِّف الشيوعيَّ والعَوْنيَّ والإسلاميَّ والقوميَّ والناصريَّ في خانةٍ واحدة هي موالاةُ سوريا وإيران! وكان واضحًا أنّ الشعب اللبناني، الذي تقول أكثريّتُه الساحقة (بحسب «الدولية للمعلومات») أنّ إسرائيل هي العدوّ، لا تستطيع نصفُ قواه السياسية رَفْعَ شعارٍ واحدٍ يَجْمعها بالقوى الأخرى، ألاَ وهو «لا لإسرائيل»... فقط لا غير.

أيّ ساذجٍ كنتُ... ولا أزال!

❖ ❖ ❖

بعيْد ١٤ آب بدأتْ «حملةُ المقاومة المدنية» كما ذكرتُ تتّخذ مساراتٍ جديدةً، خلاّقةً، ومتنوّعةً، وسياسيةً بالمعنى الأعمق لكلمة «سياسة»: العملُ مع النّاس، وإفادتُهم، والاستفادةُ منهم. كانت العملياتُ الحربية قد توقّفتْ، وإنْ بقيتْ ثمة ألغامٌ ومواقعُ للجيش الإسرائيلي في الجنوب. اتّخذت الحملةُ من منزل رفيقنا وصديقنا بلال الأمين في ديركيفا مقرّاً لها، وراحت تتنقّل من قريةٍ منكوبةٍ إلى أخرى، مركِّزةً على القرى الصغيرة التي لم تَصِلْها أحيانًا وكالاتُ الإغاثة الكبرى.

ففي زبقين (بلدةِ الشاعر شوقي بزيع حيث استشهد ١٢ شخصًا بضربةٍ واحدة) قدّمت الحملةُ للمواطنين المياهَ، والأدويةَ (للأمراض المزمنةِ والعناية الملحّة)، ومولِّدًا كهربائيّاً، وملابس. وفي سلعا (حيث استُشهد ٨ أشخاص) أُضيف إلى ذلك كلِّه قراءاتٌ للأطفال، وترفيهٌ لهم. وفي القنطرة، قدّمت الحملةُ للأهالي مضخّةَ ماء، ووزّعتْ ملابسَ وحصصًا تموينيةً. وفي حُولا قدّمتْ، إضافةً إلى ذلك، موادَّ طبيّة. البارزُ في جميع هذه النشاطات أنّ المشتريات تتمّ من السوق المحليّة، تعزيزًا للحركة الاقتصادية في الجنوب. والأهمّ من ذلك كلّه أنّنا الآن نبني صلاتٍ رائعةً مع الناس هناك، نأْمل ألاّ تنقطع يومًا، وهي صلاتٌ قد بدأتْ تتّخذ أبعادًا جديدةً، لاسيّما في مجال الترويج لمقاطعة السلع الداعمة لإسرائيل، وفي تدريب المعلّمات على تقنياتٍ تربويةٍ حديثة، وفي مساعدةِ الأطفال المصابين بآلامٍ نفسيّةٍ جرّاء الحرب.

لن يكون من قبيل الإنصاف أن أسترسلَ في وصف أعمال «حملة المقاومة المدنية» الآن ـ فهي ما زالت في شهرها الأوّل، وستعترضها المشاكلُ والمعوّقاتُ من دون شكّ. ولذلك فإنّني سأترك التوسُّعَ فيها إلى مقالٍ لاحق.

❖ ❖ ❖

توقّفت الحربُ وانتصرت المقاومة... وإنْ من حيث إفشالُها أهدافَ إسرائيل لا غير. وعدتُ إلى الآداب التي لم أَنْسَها يومًا خلال كلِّ هذه الأحداث. وفي الأسبوع الأول من «السلام» الجديد، بدأتُ بإعدادِ هذا الملفّ بمشاركة كيرستن والشباب في دمشق والدار البيضاء ورام الله والقاهرة، وفوجئتُ بحجم الإقبال الشديد على الكتابة فيه. فالحدثُ هزّ الجميعَ، ويبدو أنّ المقاومةَ الوطنية اللبنانية (الإسلامية) هزَمت الانهزاميةَ في نفوس كثيرٍ من المثقفين.

وإذ أضع اللمساتِ الأخيرةَ على هذا العدد الذي تأخّر صدورُه كثيرًا، فإنّي أستعدّ لحضور الاجتماع الأوّل من أجل التحضير لقيام أسبوع ثقافي كامل هنا في بيروت، منتصفَ تشرين الأول (أكتوبر)، بعنوان «ثقافة المقاومة،» يشارك فيه شعراء ومفكّرون ومُطْربون بهدفِ تعزيزِ الأسسِ الفكريةِ والشعوريةِ لحركة المقاومة اللبنانية والعربية.

كانت تلك ملامحَ تجربةٍ عشتُها وما أزال أعيشها وآمل أن تتواصل ـ بأخطاءٍ أقلّ وعزيمةٍ أكبر وموارد أكثر. ودوري كما أراه، ككاتب وناشط، هو أن أبقى في قلب العمل المقاوِم، وأن أُفيدَ الناسَ وأستفيدَ منهم.

بيروت

د. سماح إدريس

كاتب وناشط لبناني.